ثالثا: الأسلوبية وتحليل الخطاب

في ظل الآراء والتحديدات السابقة للأسلوبية وتحليل الخطاب والقضايا التي يهتمان بها، يبرز الرأي القائل بأن الخطاب الأدبي هو كيا ن مستقل بنفسه، وضمن هذه الاستقلالية تقع دراسته أسلوبيا، والمنهج الأسلوبي هو الكفيل بإظهار مكوّنات أدبيته، وتمييز سماته الفنية، وإبراز مصادره الجمالية، فإلى جانب البحث فيما يقول الخطاب يستقطب اهتمام التحليل الأسلوبي كيفية تشكيل الخطاب، وكيفية تعبيره عن الرؤية التي يتضمنها.

1-المقاربة الأسلوبيّة

إنّ الأسلوبيّة نظريّة وتطبيق، والهدف منها هو البحث عمّا يميّز النصّ أسلوبيًّا، ويخصّصه فنّيًا وجماليًّا. بمعنى أنّ الأسلوبيّة تهتمّ باستكشاف خصائص النصّ الأسلوبيّة، وتبيان طبيعة الأساليب الموظفة في النصّ، وتحديد مكوّنات هذه الأساليب فهمًا،وتفسيرًا، وتأويلاً. أي: ربط الأسلوب بآثاره في المتلقّي نفسيًّا، وفكريًّا، وجماليًّا، مع تحديد رؤية الكاتب إلى العالم في ضوء أسلوبه. ويضاف إلى هذا أنّ المقاربة الأسلوبيّة تسعى إلى دراسة مكوّنات الكلام من: أصوات، ومقاطع، وكلمات، وجمل، وعبارات، وربطها بمجموعة من المقصديات المباكرة وغير المباكرة. كما أنّ الهدف منها هو ربط أسلوب النصّ بالكاتب نفسه طبق مقولة بوفون: "الأسلوب هو الكاتب نفسه". وفي هذا الصدد، يمكن الاستعانة باللسانيّات، والبلاغة، والشعريّة، والسيميائيّات، والتداوليّات، وجماليّة التلقّي، في مقاربة النصّ الأدبيّ أسلوبيًّا.

2- الأسلوبية وتحليل الخطاب: من دراسة النص إلى فهم السياق ـــ مقاربة تكاملية

تمهيد

وضع تساؤل: هل نقرأ النص لشكله اللغوي أم لوظيفته الاجتماعية؟

الأسلوبية = كيف كُتب النص؟

تحليل الخطاب = لماذا كُتب النص؟ وكيف يُنتج المعنى في سياقه؟

2-1- تعريف الأسلوبية

الجذور (مدرسة الشكلانيين الروس، جاكبسون، ليو سبيتزر، بالي)

الموضوع: خصائص اللغة في النصوص (أدبية وغير أدبية.(

الأدوات: النحو، البلاغة، الصوتيات، الانزياح، التكرار، الإيقاع، النبرة.

2-2- تعريف تحليل الخطاب

الجذور (فوكو، فان دايك، براون ويول، جرييس)

الموضوع: اللغة كفعل اجتماعي وسياقي.

الأدوات: التداولية، السياق، المقاصد، العلاقات السلطوية، الأيديولوجيا.

2-3- العلاقة بين الأسلوبية وتحليل الخطاب

أ-علاقة تكامل: تحليل الخطاب يهتم بالسياق والوظيفة؛ الأسلوبية توفر التحليل الدقيق للبنية اللغوية.

الخطاب يحتاج أدوات الأسلوبية للكشف عن جماليات الإقناع والتأثير.
ب- علاقة اختلاف: الأسلوبية غالبًا تحليل داخلي (النص كوحدة مغلقة)، وتحليل الخطاب تحليل خارجي-داخلي (النص في تفاعله مع المجتمع والسياق).
جـ- علاقة تداخل: كلا المنهجين يسهمان في فهم أعمق للنصوص، خاصة تلك التي تتطلب قراءة متعددة المستويات (سياسية، أدبية، قانونية...).

تظهر العلاقة بين الأسلوبية وتحليل الخطاب في كون كل منهج يحاول الاقتراب من النص، لكن من زاويتين مختلفتين؛ فالأسلوبية تركّز على وصف خصوصية التعبير اللغوي وكيفية بناء النص جمالياً ووظيفياً، بينما تحليل الخطاب ينظر إلى النص كجزء من فعل تواصلي اجتماعي يُنتج المعنى في سياقات محددة.

تُعد العلاقة بين الأسلوبية وتحليل الخطاب من أكثر الإشكالات المنهجية إثارة في الدراسات اللغوية المعاصرة، حيث ينتمي كل منهما إلى أفق معرفي ومنهجي مستقل، مع وجود مساحات تداخل تفرضها طبيعة النصوص وظروف تحليلها.

فالأسلوبية تهتم بالكيفية التي يتشكل بها النص لغوياً، وتركز على الخصائص اللغوية المميزة التي تمنح النص طابعه الفني أو الجمالي أو الوظيفي، بينما تحليل الخطاب يتجاوز التركيز على البنية النصية المغلقة إلى دراسة الطريقة التي تُنتج بها اللغة المعنى ضمن سياق تواصلي وثقافي محدد.

وفي هذا السياق، يرى محمد العمري أن: ((تحليل الخطاب لا يقف عند حدود الجملة، كما تفعل المقاربات النحوية الصرف، ولا يكتفي برصد السمات الأسلوبية للنص، بل يسعى إلى تفسير وظائفه التواصلية والاجتماعية في ضوء السياق))**(العمري، تحليل الخطاب، ص 21)**.

أما محمد مفتاح فقد لفت إلى العلاقة الوظيفية بين التركيب النصي والسياق، حين اعتبر أن: ((الخطاب ليس بنية لغوية خالصة، بل هو نظام إشاري يستثمر مظاهر الأسلوب لإنتاج دلالة تتجاوز النص نحو الموقف والسياق)). **(مفتاح، مقاصد الخطاب، ص 65).** و ينبه محمد مفتاح إلى أن: ((الخطاب ليس بنية لغوية خالصة، بل هو نظام إشاري يستثمر مظاهر الأسلوب لإنتاج دلالة تتجاوز النص نحو الموقف والسياق)).**(مفتاح، مقاصد الخطاب، ص. 65)**

وفي السياق ذاته، يوضح أحمد درويش هذا التكامل بقوله: ((الأسلوبية تنظر إلى النص نظرة تحليلية دقيقة للبحث عن خصائص تميزه عن غيره، بينما يضيف تحليل الخطاب بعداً تداولياً يؤكد أن النص لا يعيش معزولاً، بل متصلاً بحقول الثقافة والإيديولوجيا.)).**(درويش، تحليل الخطاب، ص14).**

ومن هذا المنطلق، يمكن تلخيص العلاقة في أن: الأسلوبية تركز على دراسة "كيف كُتب النص" (مستوى الشَكل والتقنيات)، بينما تحليل الخطاب يركز على "لماذا كُتب النص؟ وكيف يُنتج المعنى في سياق محدد؟."

انطلاقاً من هذه الرؤى، يمكن التأكيد أن العلاقة بين الأسلوبية وتحليل الخطاب علاقة تكاملية، حيث تساعد الأولى في تفكيك الظواهر الشكلية داخل النص، بينما يوفر الثاني إطارًا تفسيريًا لفهم لماذا صيغ النص بهذه الطريقة ضمن سياق اجتماعي محدد.

إن الجمع بين التحليل الأسلوبي وتحليل الخطاب يسمح بإضاءة النص من زوايا متعددة: الأولى تهتم بدقة البناء اللغوي، والثانية تبحث عن الدلالات العميقة داخل السياق الثقافي

والاجتماعي. وبهذا التكامل يتحقق فهم نقدي وشامل لأي ظاهرة نصية معقدة، خصوصًا تلك التي تتداخل فيها الأبعاد الجمالية والوظيفية والتداولية.

2-4- تطبيق نموذجي (دراسة حالة)

تقديم نص واقعي (إعلان سياسي، مرافعة قانونية، قصيدة...).

تحليل بأسلوبية: استخراج الخصائص اللغوية.

تحليل بخطاب: تفسير الأبعاد الاجتماعية والتواصلية.

3- الأسلوبية وتحليل الخطاب: حدود التمايز وإمكانات التكامل

تمثل العلاقة بين الأسلوبية وتحليل الخطاب واحدة من أكثر القضايا إثارة للجدل في الدراسات اللغوية الحديثة، وذلك لارتباط كل منهما بمستويات مختلفة من تحليل النصوص؛ إذ تركز الأسلوبية على الوصف الدقيق للخصائص الشكلية للنصوص وكيفية تشكّل المعاني عبر البناء اللغوي، بينما يتجه تحليل الخطاب إلى فهم الطريقة التي تُنتج بها اللغة معنى داخل سياق اجتماعي وثقافي محدد.

لقد نشأت الأسلوبية كامتداد طبيعي للبلاغة التقليدية، غير أن تطورها في القرن العشرين، خصوصًا مع أعمال رومان جاكبسون (1960) وليو سبيتزر (1948)، أعطاها منحًى علميًا يقوم على تحليل النصوص بدقة، سواء على مستوى التركيب أو الإيقاع أو اختيار الألفاظ أو استخدام الصور البلاغية[1].

أما تحليل الخطاب، فقد ظهر في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي متأثرًا بأعمال الفيلسوف ميشال فوكو، حيث أصبح الخطاب مفهومًا يتجاوز النصوص المكتوبة أو المنطوقة إلى شبكة العلاقات الاجتماعية والسلطوية التي تحكم إنتاج المعنى[2].

من هنا، يتبين أن العلاقة بين المجالين ليست علاقة تطابق، بل علاقة تكامل معرفي ومنهجي، حيث يُمكن توضيحها من خلال ثلاثة مستويات:

1- التمييز الوظيفي

بينما تهتم الأسلوبية أساسًا بالبنية اللغوية، وتسعى إلى وصف خصائص النصوص وصفًا موضوعيًا دقيقًا، يُركّز تحليل الخطاب على استخدام اللغة كفعل اجتماعي، ويبحث في كيفية إنتاج السلطة والمعنى والتأثير من خلال التفاعل النصي والسياقي[3].

2- الالتقاء التحليلي

رغم اختلاف البؤرة، يلتقي المنهجان عندما يكون النص جزءًا من حدث تواصلي معقد؛ فعلى سبيل المثال، في الخطاب السياسي أو المرافعات القانونية، لا تكفي معرفة السياق وحده لتأويل الرسالة، بل من الضروري تحليل الاختيارات الأسلوبية التي لجأ إليها المتكلم لبناء المصداقية أو التأثير العاطفي على السامع[4].

3- التكامل المعرفي

إن تحليل الخطاب الناجح يستلزم غالبًا استثمار أدوات الأسلوبية، خصوصًا في فهم الظواهر النصية مثل: التكرار، الانزياح، التضخيم، الحذف، والتقديم والتأخير. في المقابل، تستفيد الأسلوبية من توسيع أفقها عبر إدماج السياق الاجتماعي والثقافي لفهم لماذا وُظّفت خصائص لغوية معينة في نص ما[5].

العلاقة بين الأسلوبية وتحليل الخطاب علاقة تفاعلية؛ حيث تقدم الأسلوبية قراءة دقيقة "لما هو مكتوب/مقال". بينما يكشف تحليل الخطاب "ما الذي يفعله النص اجتماعيًا ولماذا صيغ بهذه الطريقة."

بالتالي، يمكن اعتبار المنهجين مسارين متوازيين يلتقيان في مستوى التطبيق النقدي للنصوص، خاصة في مجالات مثل: الدراسات الأدبية، تحليل وسائل الإعلام، الدراسات القضائية، تحليل الحملات السياسية.

هوامش ومراجع:

[1] Jakobson, Roman. "Closing statement: Linguistics and poetics." Style in Language, edited by T.A. Sebeok, MIT Press, 1960, pp. 350–377.

[2] Foucault, Michel. L'Ordre du discours. Gallimard, 1971.

[3] Fairclough, Norman. Language and Power. Longman, 1989.

[4] Simpson, Paul. Stylistics: A Resource Book for Students. Routledge, 2004.

[5] van Dijk, Teun A. "Discourse and Context: A Sociocognitive Approach." Cambridge University Press, 2008.

- درويش، أحمد. تحليل الخطاب: مدخل نظري وتحليل تطبيقي. القاهرة: دار غريب، 2003.

- مفتاح، محمد. مقاصد الخطاب. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1999.

- العمري، محمد. تحليل الخطاب: مدخل لدراسة أنظمة النص. بيروت: المركز الثقافي العربي، 2003.